تظافرت الرموز والأدلّة القرآنية من أجل قراءة متكاملة، تتّضح فيها الصورة البيانية على وفق ما تواتر نقله عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبما يضمن الدلالة المقصودة للألفاظ القرآنيّة ولا يتقاطع السياق الصحيح والانسجام المناسب. وقد أفادت هذه الإشارات عموم القراء على مختلف مستوياتهم وثقافاتهم حتى ظهرت عندنا بفضل هذه الدلالات والرموز قراءات متوازنة في الغالب ملتزمة بالنصح المقدّم للقارئ عبر النقاط المحددة للوقف أو الابتداء الذي يتصل بالوقف ويتأثر به كثيرًا.

ومع كل ما يمكن أن تقدّمها العلامات والرموز القرآنيّة وعلى اختلاف أنواعها وقوّتها فهي تتمايز من حيث التوجيه. فمثلًا علامة (م) تفيد لزوم الوقف، وعلامة (قلى) تفيد أولويّة الوقف، وعلامة (ج) تفيد جواز الوقف والوصل، وعلامة (صلى) تفيد أفضليّة الوصل، وهناك علامات أخرى كنقاط التعانق التي يفضّل الوقف على واحدة منها دون الأخرى، وعلامة الطاء والزاي ...إلخ. وكلّ هذه العلامات وغيرها قد تكون أدوات مساعدة للقارئ في الوقف والابتداء، ولكن تبقى هذه العلامات هي من اجتهادات العلماء فهي ليست مقدّسة كما يتصوّر بعضنا فيعتقد بضرورة الالتزام بها. نعم ، هي اجتهادات وقد شابها كثير من الاختلافات والتباين؛ لذلك قد نجد في موضع ما علامة (قلى) في مصحف معين ونجد في الموضع نفسه علامة مختلفة في مصحف آخر، وهذا الاختلاف وارد باعتبار اختلاف التفاسير ورؤية العلماء واختلافهم في الإعراب والتفسير وغير ذلك.

وعلى هذا فإنّ من المناسب أن ندرك أن العلامات ليست قطعية، فكما اختلفوا في مسألة الوقف على رؤوس الآيات، كذلك اختلفوا على مواضع العلامات، والأصل أن المصحف الشريف كان غير منقوط في عصر النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وأما العلامات فهي من عمل المتأخرين الذين شعروا بضرورتها فعمدوا إلى وضعها بهذه الصورة المختلفة والتي تتغير أيضًا من فترة إلى أخرى فضلًا على اختلاف مواضعها.

ومن المهم أن ندرك أننا لا نختلف على دلالة العلامة أو الرمز، فمثلًا علامة (م) نتّفق جميعًا على أنها تفيد لزوم الوقف؛ ولكن نختلف على مواضعها وهكذا باقي العلامات والرموز، ومسألة العلامات باعتبار أهميَّتها ومكانتها شابها كثير من الضغط السياسي أيضًا ولاسيما في بعض المواضع المفصلية المهمّة والمتعلّقة بالجوانب العقائديّة، ففي ذيل الآية السابعة من سورة آل عمران أوجب بعض الدارسين بوضع علامة (م) التي تفيد لزوم الوقف على كلمة (الله) في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} وهناك من جعل عليها علامة (قلى) وكلا العلامتين قد لا تناسب الموضع. وهكذا في آيات كثيرة أخرى حيث نجد أن البعد السياسي كان حاضرًا في التوجيه وتحديد العلامة وهذا الأمر ترك كثيرًا من الجوانب السلبيّة على قراءة النص القرآني ودلالته.

والذي ينبغي أن يدركه القارئ هو أن القراءة رسالة، والقارئ هو المؤدي لهذه الرسالة وعليه أن يُوصل الرسالة غير منقوصة ولا يزيد عليها أيضًا؛ بل يحاول أن يقف حيث تنتهي الجملة و يستقيم الكلام من جهة معناه أوّلًا، ذلك أن المعنى هو المقصود، وكلّ ألفاظ القرآن مقصودة ولا تتحمّل الزيادة أو النقص، والترابط بين اللفظ والمعنى متناسق في القرآن الكريم إذا أظهر القارئ قراءة صحيحة من حيث الوقف والابتداء، وهذا لا يعني عدم الالتزام بالعلامات والرموز بشكل مطلق؛ بل ينبغي الحيطة والحذر في التعامل معها والخشية من أن يكون الأمر مجرد دافع سياسي ورغبة ناقصة في توجيه النصّ القرآني على غير رؤية القرآن وتفسيره الصحيح.